البنيوية في النقد المغاربي

ظهور البنيوية :

لم تنبثق البنيوية في الحقل النقدي والدراسا ت الانسانية الغربية فجاة ، وإنما كانت لها إرهاصات عديدة تخمرت عبرالنصف الاول من القرن العشرين في مجموعة من البيئات والمدارس والإتجاهات المتعددة و المتباينة مكانا وزمانا .(1) فهي لم تنشا من عدم ، وإنما كانت وليدة سياق عام ، هيأ لها بتراكمات نقدية وتطورات علمية .لقد استطاعت بظهورها خلال هذه الفترة من أن تغير التفكير النقدي السائد ،وتحول المرجع من السياق إلى النص، وتعزل هذا الأخير عن الملابسات الخارجية .

روافد البنيوية : من اهم الروافد التي غذت البنيوية او المنهج البنيوي اللسانيات ،لقد تاثرت البنيوية بأفكار العالم اللغوي السويسري الشهير"دي سوسير" .لقد كان أول من بحث في اصل النظام والنسق، و ميز بين اللغة والكلام ، واعتبر اللغة تمثل نظاما من العلامات تبنى على دال ومدلول بينهما علاقة اعتباطية . الامر الذي يجعلنا نقول إن البنيوية عند "دي سوسير " تقوم على اساس لغوي .

النقد الجديد لقد أفادت البنيوية من طروحات النقد الجديد الذي ظهر في انجلترا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي،وفي الولايات المتحدة الامريكية خلال الاربعينيات . وقد دعا اصحاب هذا الإتجاه إلى الإهتمام بالمكونات اللغوية للنصوص الادبية .

المدرسة الشكلية الروسية تأثرت البنيوية بحركة الشكلانيين الروس التي ظهرت في روسيا بين 1955- 1930 والتي انصب اهتمامها على النص وقراءته من الداخل ، وكان أصحاب هذه المدرسة أكثر اهتماما بالجوانب المنهجية واكثر انشغالا بوضع اساس علمي لنظرية الادب .لقد نادوا بأن" موضوع علم الادب ليس الادب وإنما الادبية أي ما يكون به أثر ما أدبيا " .(2)

 مفهوم البنيوية : تطلعنا الدلالة اللغوية لكلمة "بنية" على انها مشتقة من الفعل الثلاثي ( بنى) وتعني البناء اوالطريقة ،وكذلك تدل على معنى التشييد والعمارة والكيفية التي يكون عليها البناء، أو الكيفية التي شيد عليها . أما الدلالة الإصطلاحية فتعني ان " البنية نظام تحويلي ، يشتمل على قوانين ، ويغتني عبر لعبة تحولاته نفسها ، دون ان تتجاوز هذه التجولات حدوده، أوتلتجئ إلى عناصر خارجية، وتشتمل البنية على ثلاثة طوابع ، هي الكلية / التحول/ التعديل الذاتي . ولم يبعد "جان بياجيه" في تعريفه لها عن هاذا المعنى ،حيث عدها ،" نسقا من التحولات يحتوي على قوانينه الحاصة ، علما بأن من شان هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به هذه التحولات نفسها، دون ان يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق او أن تستعين بعناصر خارجية ، وبايجاز فالبنية تتالف من ثلاثة خصائص هي الكلية – التحولات –الضبط الذاتي .(3)

الكلية : تعني خضوع العناصر التي تشكل البنية لقوانين تميز المجموعة كمجموعة، أو الكل ككل واحد .

التحول : وهذا التحول يعني أن هناك قانونا داخليا يقوم بالتغيرات داخل البنية التي لا تبقى في حالة ثابتة فهي دائمة التغير .

التنظيم الذاتي : بمعنى أن البنية تستطيع تنظيم ذاتها بذاتها لتحافظ على وحدتها واستمراريتها .

 وترى نبيلة ابراهيم ان "المنهج البنيوي يعتمد في دراسة الادب على النظر في العمل الادبي في حد ذاته بوصفه بناء متكاملا بعيدا عن اية عوامل اخرى اي ان اصحاب هذا المنهج يعكفون من خلال اللغة على استخلاص الوحدات الوظيفية الاساسية التي تحرك العمل الادبي " (4)

أما جميل حمداوي فيرى" ان البنيوية ، طريقة وصفية في قراءة النص الادبي تستند إلى خطوتين أساسيتين هما التفكيك ،والتركيب، كما انها لا تهتم بالمضمون المباشر ، بل تركز على شكل المضمون وعناصره وبناه التي تشكل نسقية النص في اختلافاته وتآلفاته "(5)

1 –صلاح قضل ،مناهج النقد المعاصر ، ص 69 .

2- المرجع نفسه ، ص23.

3- ينظر عبدالله خضر حمد ،المناهج السياقية والنسقية ، ص121.

4 - نبيلة ابراهيم ،نقد الرواية، ص44.

 5-ينظر جميل حمداوي ، مقال بعنوان النيوية ، موقع على الانترنيت.

مستويات التحليل البنيوي : البنيوية منهج وصفي تنظر إلى العمل الادبي على أنه نص مغلق على نفسه ، له نظامه الداخلي الذي يكسبه وحدته،وهونظام لا يكمن في ترتيب عناصره، وإنما يكمن في تلك الشبكة من العلاقات التي ينتظم وفقها . وتستند البنيوية في تحليلها للنصوص إلى مستويات متعددة ومتداخلة بنيويا لايمكن الفصل بينها ،وتتمثل هذه المسويات فيما ياتي: (1)

المستوى الصوتي : تدرس فيه الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم وايقاع .

المستوى الصرفي: تطرح فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والادبي خاصة .

المستوى المعجمي : تعالج فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والتجريدية ، وكذا المستوى الاسلوبي لها .

المستوى النحوي : يخصص لدراسة تاليف وتركيب الجمل وطرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية .

مستوى القول : يهتم بتحليل تراكيب الجمل وطرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية .

 المستوى الدلالي : يركز على تحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة ،والصور المتصلة بالانظمة الخارجة عن حدود اللغة ،والتي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع وتمارس وظيفتها عتى درجات في الادب والشعر.

المستوى الرمزي : يؤدي الى استنتاج وتركيب ما تقوم به المستويات السابقة من دو الدال الجديد ،الذي ينتج مدلولا ادبيا جديدايقود بدوره الى المعنى الثاني ، او ما يسمى باللغة داخل اللغة .

البنيوية إذن في النقد الادبي منهج يهتم بدراسة النصوص الادبية من داخلها دون الالتفات إلى الظروف ، والملابسات الخارجية التي ظهرت في ظلها بما في ذلك المؤلف الذي كتب النص ،والحق أن هذا المنهج ليس حكرا على اللغة والادب فحسب ، بل امتد ليشمل الكثير من العلوم . ثم إن البنيوية لم تاخذ صورة واحدة ،وإنما اتخذت صورا مختلفة فهناك البنوية اللغوية ، والبنيوية الادبية الشكلية،والبنيوية الادبية التكوينية .

البنيوية في النقد العربي : اخذت البنيوية في الامتداد والإنتشارداخل الوطن العربي ،في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من خلال الاحتكاك الثقافي بالغرب ، والإلتحاق بجامعاته ومثلت الترجمة البداية الاولى لتلقف البنيوية وبخاصة من قبل المغاربة.

و الجدير بالذكر ان تطور البنيوية ، كان مختلفا بين الاقطار العربية الا ان ذلك لم ينع من ظهور اسماء سجلت

 حضورها بقوة في المشهد النقدي، ففي مصر ظهر صلاح فضل ومحمد شكري عياد وسعد مصلوح ،و في سوريا كمال ابو ديب وجمال شحيد ،وعبد الفتاح كيليطو ومحمد بنيس في المغرب ، وعبد المالك مرتاض وعبد الحميد بو رايو في الجزائر ، وحسين الواد وطاهر لبيب وعبد السلام المسدي في تونس .

البنيوية في النقد المغاربي :

ليس من المبالغة في شيىء إذا قلنا ، إن استخدام النقاد المغاربيين لهذا المنهج فيما وضعوه من مؤلفات كان اكثر من النقاد المشارقة،لتأثرهم بالنقاد الفرنسيين ،الذين كانوا من رواد هذا المنهج في الساحة النقدية . ومن النقاد المغاربيين الذين سنتوقف عندهم ، نذ كر الناقد الجزائري عبدالمالك مرتاض ، وعبد الفتاح كيليطو.

يعد الباحث الجزائري عبد المالك مرتاض رائد النقد البنيوي في الجزائر،فاعتماده على هذا المنهج يعود إلى نهاية السبعينيات . ويشير عبد الحميد شريبط إلى ان البداية الحقيقية لهذا المنهج النقدي في الجزائرهي السنة التي صدر فيها كتاب " النص الادبي من اين ؟ وإلى أين ؟" لعبد المالك مرتاض وذالك عام 1983 .اما يوسف وغليسي فيرى ان مرتاض قد اصدر قبل هذا الكتاب أي(النص الادبي من اين؟ وإلى اين ؟)كتابين لا يخرجان عن المنهج البنيوي وذلك عام 1982، وهما (الالغاز الشعبية الجزائرية ) و(الامثال الشعبية الجزائرية ) والاحتكام إلى تواريخ مقدمات كتبه الثلاثة ، يطلعنا على ان اقدم دراساته تعود إلى 1979تاريخ تاليف كتاب الالغاز الشعبية (2) .وما ينبغي الاشارة إليه في هذا الصدد ان مرتاض بعد هذا تخلى كليا عن كل ما له علاقة بالمنهج السياقي ، وتبنى المنهج النسقي .

1 – صلاح فضل ، مناهج النقد المعاصر، ص 319

2- ينظر يوسف وغليسي ،النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الالسنية ، ص122

إنه في تبنييه للمنهج البنيوي يعتمد على الدراسة العمودية "وتقوم عنده على تناول الابداع من عدة مناح ولاسيما من حيث بنيته الافرادية والتركيبة ،ثم من حيث الزمان فيه ، وكيفية تعامل الكاتب معه ، ثم من حيث الحيز ورسم الصورة الفنية من خلال وضع هذه البنى ،ثم اخيرا من حيث مستواه الصوتي " (1) .

اما الناقد المغربي عبد الفتاح كيليطو فإنه اصدرعام 1982 كتاب ( الادب والغرابة دراسات بنيوية في الادب العربي ).يقوم الكتاب عنده على قسمين ، تناول في الاول منهما مفاهيم ( النص ، والادب ، النوع ، السرد ، تاريخ الادب) . اما في القسم الثاني فاهتم بدراسة بعض المؤلفات القديمة : اسرار البلاغة ، مقامات الحريري ، مفامات الزمخشري ،ملحة الإعراب ، وحكاية السندباد .(2)

الكتاب في الاصل مجموعة من المقالات نشرها صاحبها في السبعينيات في صحف مختلفة .اهتم الناقد في هذا الكتاب بمقاربة ،الثقافة العربية القديمة على ضوء مناهج نقدية حديثة بنيوية وسميائية .

اعتمد في منهجيته على استخلاص القواعد البنائية في توليد النصوص ،واعتماد نظرية الادب وخاصة في قضية التجنيس والتصنيف . واستعمال البنيوية السردية في استقراء القواعد السردية في النصوص الحكائية ،ودراسة المكونات لسردية كالشخصية في المقامة . اعتمد على المنهج البنيوي الى جانب السيميائي اثناء حديثه عن قواعد السرد كما استعان بالتاريخ والبنيوية التكوينية .فهو لم يعتمد على منهج واحد وانما جمع بين عدة مناهج ، وهذا ما آخذه عليه جميل حمداوي .

1-عبدالمالك مرتاض ، النص الادبي من اين ؟ وإلى اين ؟،ص4.

2 – عبد الفتاح كيليطو ،الادب والغرابة ، ص 11.